

تفسير البحر المحيط

@ 178 @ بالذات ، كالواحد مع الإثنين ، وليس الواحد علة للاثنيين بخلاف القسم الأول .
وتقدم بالشرف ، كتقدم الإمام على المأموم . وتقدم بالزمان ، كتقدم الوالد على الولد
بالوجود ، وزاد بعضهم سادس وهو : التقدم بالوجود حيث لا زمان . ولما ذكر تعالى حال هؤلاء
الكفار في الدنيا ، أخبر بما يؤول إليه أمرهم في الآخرة من العذاب العظيم . ولما كان قد
أعد لهم العذاب صير كأنه ملك لهم لازم ، والعظيم هو الكبير . وقيل : العظيم فوق ، لأن
الكبير يقابله الصغير ، والعظيم يقابله الحقيق . قيل : والحقيق دون الصغير ، وأصل
العظم في الجثة ثم يستعمل في المعنى ، وعظم العذاب بالنسبة لي عذاب دونه يتخلف فتور ،
وبهذا التخلل المتصور يصح أن يتفاضل العرضان كسوادين أحدهما شبع من الآخر ، إذ قد تخلل
الآخر ما ليس بسواد . .

وذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى : { إِنَّ السَّادِّينَ كَفَرُوا } إلى قوله : { عَظِيمٌ } ، أقوالاً : أحدها : أنها نزلت في يهود كانوا حول المدينة ، قاله ابن عباس ،
وكان يسميهم . الثاني : نزلت في قادة الأحزاب من مشركي قريش ، قاله أبو العالية .
الثالث : في أبي جهل وخمسة من أهل بيته ، قاله الضحاك . الرابع : في أصحاب القلب :
وهم أبو جهل ، وشيبة بن ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن
المغيرة . الخامس : في مشركي العرب قريش وغيرها . السادس : في المنافقين ، فإن كانت
نزلت في ناس بأعيانهم وافوا على الكفر ، فالذين كفروا معهودون ، وإن كانت لا في ناس
مخصوصين وافوا على الكفر ، فيكون عاماً مخصوصاً . ألا ترى أنه قد أسلم من مشركي قريش
وغیرها ومن المنافقين ومن اليهود خلق كثير بعد نزول هاتين الآيتين ؟ . .

وذكروا أيضاً أن في هاتين الآيتين من ضروب الفصاحة أنواعاً . الأول : الخطاب العام
اللفظ الخاص المعنى . الثاني : الاستفهام الذي يراد به تقرير المعنى في النفس ، أي
يتقرر أن الإنذار وعدمه سواء عندهم . { عَلايَهُمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } ختم اللام على قلوبهم وعلاي سمعهم ،
وحقيقة الختم وضع محسوس على محسوس يحدث بينهما رقم يكون علامة للختم ، والختم هنا
معنوي ، فإن القلب لما لم يقبل الحق مع ظهوره استعير له اسم المختوم عليه فبين أنه من
مجاز الاستعارة .